اسير في سجون اسرائيل 17 سنة يخوض الآن معركة اعلامية كمراسل

انور ياسين: الحياد في زمن الحروب هو لصالح العدو

بيروت ـ «القدس العربي» ـ من زهرة مرعي:

كان مفاجئاً خلال العدوان على لبنان أن يرصد مشاهدو قناة «نيو تي في» التي كانت على مدى الأيام في مهمة القناة المقاومة للعدوان، أن يرصدوا الأسير المحرر من سجون الاحتلال أنور ياسين متنقلاً على الجبهات لينقل التطورات. صحيح أن أنور ياسين بدا في الأيام الأولى لعمله أنه جديد على المهنة، لكنه اكتسب فيما بعد مرونة وراحة في التعاطي مع الكاميرا والخبر.

الى جانب المعركة الاعلامية والوطنية كان أنور ياسين في معركة ذاتية مع هذا العدو الذي احتجز حريته لـ17 سنة متواصلة، ومن المؤكد أن وجوده على الشاشة أزعجه، لذلك حاربه في نهاية العدوان بشائعة العمالة له والاعتقال. مع أنور ياسين كان هذا الحوار:

■ كونك أسيراً سابقاً لدى العدو هل تمكنت عينك من رصد ومشاهدة ما لم يشاهده سواك كمراسل خلال العدوان؟

■ **ليس هذا وحسب بل أيضاً كوني أنتمي لفكر سياسي له تاريخه في العمل المقاوم، كل هذا المخزون كان بين يديّ خلال تغطيتي للأحداث. بالتأكيد كان هناك زملاء يمتلكون بعضاً من هذه الأدوات، انما ردة فعل المشاهدين أشعرتني بأني قمت بعمل لديه تميزه ولساته الخاصة رغم كوني خضت تجربتي الأولى في العمل.**

■ كونك اختبرت العذاب على يد العدو فهل كنت معنياً أكثر من سواك في تغطية العدوان؟

■ **في السابق وابان اجتياح 1982 كنت مواجهاً لهذا العدوان وكنت أتمنى أن يكون موقعي مختلفاً وليس ناقلاً يظهر وحشيته، كنت أتمنى أن أكون في مكان المواجهة، لكن الظرف الذي نعيشه حدد مسؤوليات ووظائف كل منا. في الحقيقة شعرت أن الاعلام هو ساحة نضالية أخرى يمكن أن أقدم فيها رسالة ضمن الامكانات المتوفرة. وجه من وجوه المقاومة أن أكون في ساحة تزعج العدو كثيراً بالقول له أنه بعد سنوات طويلة من الاعتقال لم يتمكن من أن يكسرنا. نقول له بأننا مستمرون لأننا عشاق حياة حرة كريمة. ولأجل هذه الحياة نحن مستعدون لأن نضحي. ولأن وجودي على الشاشة كان مزعجاً لهذا العدو فبعد انتهاء العدوان بيومين أشيع بأن أنور ياسين أعتقل من قبل أجهزة الأمن اللبنانية وحزب الله بتهمة العمالة لاسرائيل.**

■ ومن باعتقادك وراء تشييع هذا الخبر؟

■ **لا شك بأنهم عملاء العدو والعقول السخيفة والضعيفة في هذا الوطن. بصراحة ثقتي بنفسي وثقة الناس بي جعلتني في البداية لا أهتم بهذا الترويج، لكن أنتشار الخبر كما كرة الثلج يجعلني أفكر جدياً بتقديم شكوى ضد مجهول الى النيابة العامة. أما حجة المروجين فتكمن في أني لم أظهر في اليومين الأخيرين من العدوان على الشاشة، في حين كانت الأمور مجرد تبديل بهدف الراحة بعد عمل متواصل لما يقارب الـ29 يوماً كنت خلالها على الشاشة على مدار الساعة.**

■ هل حاولت تتبع مصدر الاشاعة؟

■ **هذا ما أعتقده من مسؤوليات الدولة والشكوى ضد مجهول تفرض على المعنيين تقصي مصدر الخبر. لكن بحسب معلوماتي فالاتصالات الأولى التي تلقيتها كانت من منطقة أقليم الخروب أفادتني بأن من يروج الخبر أفراد ينتمون لتيار سياسي موجود على الساحة اللبنانية. ومن ثم راحت الشائعة تنتشر في البقاع والجبل. كما أني تلقيت اتصالات من خارج لبنان تسألني عن الموضوع وبخاصة من الكويت والبحرين ومن قبل أصدقاء وصلتهم الشائعة.**

■ لماذا هذه الشائعة بحسب تقديرك؟

■ **باعتقادي أنها ناتجة عن الصفعة التي تلقاها العدو وعدم انتصاره على الأقل على شخص. لقد أديت رسالتي بشكل لفت انتباه الكثير من الناس لأني كنت مشحوناً بهذه الطاقة ولكوني مخلصاً لهذا الانتماء ولنهج المقاومة الذي أؤكد أنه نهج ديمقراطي وطني وتحرري.**

■ تمنيت أن تكون مع المقاومين لماذا؟

■ **لأن ذلك يشكل شرفاً لي. انها اشكالية كنا نناقشها مع الاخوة في حزب الله لأن العمل المقاوم برأينا هو عمل وطني وليس محصوراً بفئة أو طائفة. كان الاستعداد عالياً لدى كل الشيوعيين والوطنيين في لبنان الذين كانت لهم بصمتهم في مقاومة العدو خاصة وأنهم أول من أطلق هذه المقاومة. لكن ظروف العمل الميداني حصر المقاومة بيد حزب الله وهذا ما ندفع ثمنه اليوم بهذه الهجمة على سلاح المقاومة. وذلك بالطبع مع تقديرنا واحترامنا وانحنائنا أمام كافة المجاهدين والمقاومين الذين كانوا في المواجهة. لكن كان أجمل وأروع لو كانت هذه المقاومة وطنية تشمل كل من هم معنيون بالصراع مع العدو.**

■ كيف تصف يومياتك المهنية خاصة وأنك بدأت مع العدوان؟

■ **السؤال الأول الذي يواجهه المراسل هو هل سيتمكن من أن يكون تلقائياً مع الكاميرا؟ في ظهوري في الأيام الأولى لم أكن معنياً بالكاميرا بل بايصال الخبر بمصداقية وبوضع وحشية العدو أمام المشاهدين.**

■ في أي الجبهات تحركت؟

■ **منذ الأيام الأولى للحرب كنت في مدينة صيدا وضواحيها لأكثر من أسبوع، ومن ثم منطقة الضاحية ولاحقاً النبطية.**

■ هل ثمة انطباعات تركتها في نفسك تلك الأمكنة؟

■ **في تلك الأمكنة يتنازع المرء شعوران بالألم. في صيدا شهدنا المعاناة في وجوه الناس النازحين من قراهم وما تعرضوا له من أهوال بقصف منازلهم، ومنهم من وصل الى صيدا حافي القدمين. والأعداد كانت هائلة ولكل منهم قصته مع العدوان. في رصد العدوان على الضاحية كنا مفصولين عن معاناة الناس فقط كنا نرصد تساقط الأبنية كما الورق وهذا ما كان مؤلماً ومؤثراً، لكن في المقابل صمود المقاتلين كان يعدل في الموازين النفسية عندنا. لكن اليوم العنيف والوحشي كان ذلك الذي انتهى باغراق البارجة الاسرائيلية التي قلبت المعنويات بنسبة 180 درجة.**

■ هل من مشهد لا يمكن أن تنساه من هذا العدوان؟

■ **أصعب مشهد على قلبي هو أنتشال شهداء قانا وخاصة الأطفال الذين قضوا وهم نيام، كما لا أنسى مشاهد مجزرة القاع. وكل ما قام به العدو كان من البشاعة بحيث يعجز عن تحملها البشر.**

■ هل استفدت من خبراتك العسكرية كمقاوم في عملك كمراسل؟

■ **بالتأكيد، فاضافة لتغطية العدوان كنت أنقل نوعية الأسلحة التي يتم استخدامها أو ما يشبهها. تذكرت اجتياح العام 1982 والتبدلات التي طرأت في هذا العدوان وخضت مقاربة في تقاريري الاخبارية. ولا شك بأن الوحشية في هذا العدوان كانت أكبر بما لا يقاس.**

■ ما هو رأيك بالدور الذي قام به المراسلون اللبنانيون خلال هذا العدوان؟

■ **دورهم كان في غاية الأهمية مع الاختلاف في التغطية بين مؤسسة وأخرى. نحن تأكدنا من أهمية اعلامنا عندما تلقينا الأصداء من خارج الوطن. نقل هذا الحدث كان له كبير التأثير على الشارع العربي والعالمي. وعلى الصعيد الوطني كنا أمام نمط اعلامي مهادن الى حد ما بحيث كان يلعب دور الحياد السلبي، حيث الحياد في زمن الحروب يكون لصالح العدو. وهذا الواقع خسر تلك المؤسسات بعضاً من جمهورها، لكن تلك المؤسسات عادت لتعدل بعضاً من سياساتها في الأيام الأخيرة للعدوان. ونمط آخر هو المقاوم.**

■ لماذا اخترت أن تكون مراسلاً للتلفزيون؟

■ **انها مهنتي الأولى بعد الحرية وهي كانت بمبادرة من رئيس مجلس ادارة نيو تي في السيد تحسين خياط. كان طموحي في البداية تقديم برنامج حواري شبابي، لكن حدث أن قُدم برنامج مشابه لما طرحته.**

وهكذا انطلقت كمحرر في النشرات الاخبارية والعدوان أدى الى خروجي الى ميدان المعركة الاعلامية. وقد سبق وغطيت نشاطات خارج المكتب لكنها تسببت لي بالارهاق لأن المعنيين لم يتعاطوا معي كمحرر صحافي بل كمشارك يطلب رأيه، أو يتجمع حولي الناس للتواصل. وعندما غطيت احدى المظاهرات على سفارة الولايات المتحدة تم اعتباري كمشارك وهذا طبعاً جميل بالنسبة لي، لكن المشكلة كانت كبيرة لو كانت المظاهرة في مكان آخر.

■ هل تلقيت تدريباً مهنياً؟

■ **بصراحة اتكلت على احساسي السياسي والمعلومات العامة التي امتلكتها خلال دراستي وحياتي في السجن. عملت انطلاقاً من كوني مشاهد يتلقى الخبر.**

■ هل لديك أحلام في المهنة؟

■ **حلم البرنامج لا يزال يراودني. انه يتخطى الحلم الى الحاجة بمخاطبة الشباب بلغة مختلفة هي لغة العقل.**

■ هل لا تزال لديك اهتمامات بقضايا الأسرى؟

■ **لا شك بذلك وهي مهمة مركزية بالنسبة لي، انما الالتزام المهني والدوام الطويل يعرقل قليلاً هذا النشاط.**

■ هل لا تزال العلاقة تجمعك مع الأم البديلة التي تبنتك في فلسطين؟

■ **التواصل موجود ودائم وخاصة في هذه المرحلة حيث من الضروري ايصال صوت أهالي المعتقلين الى العالم وبخاصة أولئك الذين أمضوا أكثر من 15 سنة في السجن. ومن ضمن هؤلاء أخي بلال أبو حسين الابن البكر لوالدتي في فلسطين نعمة أبو حسين، اضافة الى رفاق آخرين تخطت فترة اعتقالهم الـ21 عاماً. وهناك معتقلون من أراضي الـ48 ومن القدس. المعتقلون القدماء يبلغ عددهم حوالي الـ350 معتقلاً.**

■ وهل تتواصل مع الأسرى المحررين داخل فلسطين وخارجها؟

■ **التواصل الأبرز يتم مع من هم خارج فلسطين. الحياة العملية سرقت الكثير من المعتقلين حيث لكل همومه. كذلك الأمر بالنسبة للمحررين داخل فلسطين حيث همومهم والتزاماتهم أكبر في الحياة والنضال. نعقد مع المعتقلين المحررين في لبنان لقاءات دورية وتشاور في النشاط المطلوب القيام به.**

■ وهل ستترشح للانتخابات في الدورة المقبلة؟

■ **القانون الذي ترشحت على أساسه في الدورة الماضية كان شديد السوء، آمل أن يتبدل هذه المرة ليصبح على أساس نسبي وخارج القيد الطائفي وهذا ما يشجعني لدخول هذا المعترك من جديد.**

انور ياسين (القدس العربي)

تعرض على هامش مهرجان المسرح الآخر في عكا

«سجن»: مسرحية عن العنف ضد المرأة داخل العائلة

البقيعة ـ (الجليل) ـ من وحيد زيادة:

يواصل مسرح «الفرح» في قرية البقيعة الجليلية اطلاق ابداعاته الفنية المسرحية في سماء منطقته والتي كان قد بدأ فيها منذ زمن بعيد. هذه المرة انجب للحياة مسرحية جديدة حملت عنوانا يدل ويهدف الى معان كثيرة في مجتمعنا الذي نعيش فيه وهو «سجن» والذي سندخل في تفاصيله وتفاصيل المسرحية في سياق هذا التقرير.

ويشار الى ان المسرحية سوف تعرض على هامش مهرجان المسرح الآخر في عكا، وذلك يومي الإثنين والثلاثاء 9ـ2006/10/10 الساعه 45:20 في قاعة «عودة ـ خان الفرنج» بجانب مدرسة التيراسنطة.

مسرح «الفرح» وكما قال احد أعضاء مؤسسة «حنا سمور» في الحفل الافتتاحي للمسرحية والتي عرضت في المركز الجماهيري في البقيعة، يعد من المسارح العريقة في البلاد وله باع طويل في العمل المسرحي على مختلف الوانه كذلك فهو يحوي بداخله تسعة أعمال يعالج كل واحد منها قضية اجتماعية مهمة في مجتمعنا مثل العنف، السموم، الكذب، الاحترام المجتمعي والأسري، شرف العائلة وغيرها، كما ان مسرح الفرح ينتج اعمالا كوميدية ناقدة للمجتمع بقالب كوميدي ساخر. «الفرح» يضم تحت اجنحته العديد من الأعضاء والممثلين المعروفين من البقيعة وخارجها والذين يتكاتفون دائما من اجل دفع عجلة المسرح إلى الأمام وإعطائه وجبات أوكسجين دائمة من اجل إظهار رقيه ولمعانه. هذا الأمر أوصل المسؤولون هناك إلى إخراج وإنتاج فيلم سينمائي اسمه «كان زمان» والذي يتحدث عن أيام زمان وكل ما التف حول هذا القالب المزركش والجميل والذي نتحسر عليه ونفقده في أيامنا هذه... تتحدث مسرحية «سجن» بالأساس عن العنف بشكل عام وبالأخص عن العنف داخل العائلة حيث تكون الضحية مرة اخرى امرأة في هذا المجتمع الرجولي وتظهر انه عندما تتحرك أيدينا قبل عقولنا وقلوبنا نفقد صفة الإنسان ونصنع الجحيم. أحداث المسرحية والتي قام بتأليفها وإخراجها الفنان فراس سويد والذي كان ركنا أساسيا في تمثيل أحداثها سوية مع الموهبة المحلية اللامعة محمد زين الدين دارت في موقع واحد وهو السجن والذي زج فيه الاثنان بعد ان قاما بجريمة قتل كل في عائلته. ففراس والذي لعب دور «غسان» قام بقتل زوجته هدى ظانا انها قامت بعمل يخالف قوانين شرف العائلة ومباشرة فقد صوته وأصبح اخرس ومحمد والذي لعب دور «أمل» قام بقتل أخته سميحة لنفس السبب. الاثنان تلقيا حكما مؤبدا وقبعا في السجن على فعلتيهما. امل دخل إلى السجن خائفا ومرتعبا من مصيره وبدأ يتعرف على غسان الأخرس الذي تواجد هناك منذ 17 سنة وبعد ان تعرف على غسان وعلى المكان جيدا بدأ يروي قصته تماما كما فعل غسان بلغة الإشارات حتى ندم الاثنان على عمليهما وتمنيا لو تعود الأيام إلى الوراء ليصلحا الخطأ الذي ارتكباه في حق أحب الناس إليهما. حتى ان غسان والذي تلقى خلال أحداث المسرحية إعفاء من قبل المحكمة يحرره من السجن لم يبغ فعل ذلك لانه كما قال يستحق ان يبقى في السجن وطلب من الله سبحانه وتعالى ومن هدى الا يسامحانه أبدا.

ومن الجدير ذكره ان المسرحية احتوت على مقاطع موسيقية وعلى إضاءة جميلة بالإضافة للمشاهد السينمائية التي زينت أجواء هذه المسرحية. في النهاية تمدد الاثنان كل على سريره وتغطيا بحرام ربما هدف منتجو هذا العمل المسرحي من وراء ذلك إلى إخفاء العار والعيب الذي قاما به غسان وأمل، وربما هدف إلى ان هذه الأمور العنيفة يجب ان ندفنها ويجب الا نظهرها على وجه البسيطة فيجب ان نتروى ونتفهم الامور جيدا ونشغل عقولنا»

تأليف وإخراج: فراس سويد ـ إعداد موسيقى: ادهم درويش ـ مونتاج: اشرف علي ـ ماكياج: ياسمين عيدي ـ تصوير: امل ابو صالح، ستوديو الامل ـ اضاءه ومساعد اخراج: مهنا ابراهيم ـ تمثيل مسرحي: فراس سويد ومحمد زين الدين، تمثيل سينمائي: حنا سمور، سناء لهب، ايهاب عباس، رنا صليبا، مهنا ابراهيم، هيثم مداح، هاني زرقا، اليف عامر، برعاية المجلس الشعبي لمكافحة العنف ووزارة العلوم والثقافه في الوسط الدرزي ومجلس البقيعه المحلي وكمال سعيده واخوانه.

مشهد من مسرحية «سجن» (تصوير و.ز)

جمال سليمان يفرض نفسه منافسا قويا لنجوم الدراما التلفزيونية المصرية في رمضان

القاهرة ـ من رياض ابو عواد:

تمكن الفنان السوري جمال سليمان من ان يفرض نفسه على خارطة الدراما الرمضانية على شاشات التلفزيون المصري وان يكون منافسا قويا للنجوم المصريين الذين ينتظرهم الجمهور سنويا في مسلسلات رمضان.

ويتحدث الكثيرون في الشارع عن اعجاب بالممثل السوري الذي استطاع في مسلسل «حدائق الشيطان» لاسماعيل عبد الحافظ ان «يقدم صورة الرجل الصعيدي وان يتقنها اكثر من ابناء مصر» كما تقول هدى محمد الطالبة في كلية تجارة جامعة القاهرة.

وفي استفتاء يجريه برنامج «القاهرة اليوم» على اعجاب المشاهدين بمسلسلات رمضان التي تعرضها قنوات شبكة «اوربت» المشفرة ياتي «حدائق الشيطان» حتى الان في المرتبة الاولى يليه مباشرة «سكة الهلالي» للفنان يحيى الفخراني و«حضرة المتهم ابي» لفنان نور الشريف.

ومن المسلسلات الاخرى المشاركة في الاستفتاء «سوق الخضار» للفنانة فيفي عبده و«دعوة فرح» بطولة سميرة احمد اضافة الى المسلسلين الكوميديين «تامر وشوقية» لاحمد الفيشاوي ومي كساب الذي يحقق ايضا نجاحا جيدا ثم «شي توتو» لفاروق الفيشاوي وسمير غانم.

وتدور احداث «حدائق الشيطان» حول الطاغية مندور ابو الذهب تاجر المخدرات الذي يزرع الحشيش ويفرض سطوته على المحيطين به الذين يهابونه ويستخدم عضوا في مجلس الشعب لتسيير مصالحه.

ولوجود جمال سليمان في «حدائق الشيطان» دور كبير في تصدر هذا المسلسل المرتبة الاولى في هذا الاستفتاء كما يقول الناقد عادل عباس الذي يضيف انه «يؤدي دوره بشكل سلس ومتمكن دون توتر متنقلا بين الملامح البريئة التي تنطق بالحب وهو ينظر الى طفل يشارك المسلسل وبين الملامحه الحادة والنظرات الغاضبة ساحقا كل من يفكر في ابداء رايه».

والمسلسل مستوحى من قصة حقيقية هي قصة عزت حنفي الذي كان من اكبر تجار المخدرات في الصعيد واعدم مع شقيقه قبل اسابيع في القاهرة.

وترى الناقدة علا الشافعي ان الناس «تريد متابعة قصة امبراطور الصعيد الذي اثارت طريقة اعتقاله واعدامه وما تسرب من معلومات حول ارتباطه بعلاقة خدمات متبادلة مع ضباط في وزارة الداخلية خلال حرب الاخيرة على ارهاب الجماعات الاسلامية في الصعيد اهتمام الراي العام».

ورغم ذلك فان الشافعي ترى ان «السيناريو يتضمن عددا من الثغرات ابرزها استخدام فكرة الغولة لتخويف الناس التي اثقلته واضافت عليه عبئا لا مبرر له».

وتفوق مسلسل «حدائق الشيطان» في هذا الاستفتاء لا يقلل من قيمة مسلسلي «حضرة المتهم ابي» الذي اعاد الفنان نور الشريف بقوة الى الشاشة بعد فشل اخر مسلسل قدمه على الشاشة قبل عامين «عيش ايامك» الذي تعرض لانتقادات لاذعة في حينه.

وينطبق الحال ايضا على مسلسل «سكة الهلالي» الذي اعاد الفنان يحيى الفخراني الى تالقه بعد الفشل الذريع الذي لقيه مسلسل العام الماضي «المرسى والبحار» الذي اضطر الفخراني للاعتراف بان الصواب جانبه في اختياره دوره في المسلسل.

ولا يشمل هذا الاستفتاء سوى المسلسلات المصرية الثمانية التي تقدم على شاشة قنوات اوربت وهي «سوق الخضار» لمحمد النقلي بطولة فيفي عبده و«الامام محمد عبده» لشكري ابو عميرة بطولة احمد عبد العزيز والكوميدي «تامر وشوقية» بطولة احمد الفيشاوي و«دعوة فرح» لاحمد عبد الحميد بطولة سميرة احمد و«مطعم شي توتو» الكوميدي ايضا بطولة سمير غانم.

ومن المسلسلات المصرية الاخرى التي ظهرت على الخريطة الرمضانية «السندريلا» الذي يروي قصة حياة الراحلة سعاد حسني وتؤدي دورها منى زكي و«العنديلب: حكاية شعب» عن قصة حياة الفنان الراحل عبد الحليم حافظ و«حبيب الروح» الذي عادت به الفنانة المعتزلة سهير رمزي و«قلب حبيبة» للمعتزلة ايضا سهير البابلي و«نور الصباح» لليلى علوي و«آن الاوان» للمطربة المعتزلة ايضا وردة الجزائرية. (اف ب)

جمال سليمان في «حدائق الشيطان»

فضائيات

بانتظار ان يرث جمال النووي حطامنا: هل يكفي الرفض الاعلامي؟

هويدا طه*

■ منذ سنوات والأشياء ـ كل الأشياء ـ في مصر تسير بعيدا عن تعريف الدولة في المواثيق الدولية.. فالدولة المصرية لم تعد تقريبا كيانا يجمع بين (شعب وإقليم وسيادة) كما ينص ذلك التعريف، بل هناك فقط (ولد) ترتب له كل الترتيبات كي يرث وحده.. ما تبقى من حطام شعب وإقليم وسيادة استولى عليها أبوه منذ ربع قرن، وأجواء فرض عليها فرضا الانشغال بتلك الترتيبات الماضية قدما.. في شد وجذب بين عائلة الولد والنخبة المثقفة التي تتجادل معها باستمرار.. أما الشعب.. الذي يقترب عدد أفراده من ثمانين مليونا فقد ترك للطرفين خيوط اللعبة.. وأكثر اسهاماته في الأمر هي الفرجة عليهما انتظارا للغالب في مباراة راهن عليه هو نفسه.. وقد لا يلام ذلك الشعب كثيرا على هذا الانسحاب من اللعبة إلى مقاعد المتفرجين.. فتاريخيا ليست هناك جماهير تؤثر في لعبة بدون (تنظيم) قادر على تحريكها تقوده تلك النخبة.. لكن هذا التنظيم غير موجود في مصر المفككة منذ عقود، وتلك النخبة غير قادرة على (الفعل المبادر) بل هي غالبا ما تستجيب لفعل عائلة الولد.. حتى اللحظة الفريدة التي بادر فيها مثقفون بفعل كان رد الفعل فيها من نصيب العائلة وكان رد فعل أمنيا وحشيا .. وهي لحظة خروج حركة إلى النور باسم كفاية.. حتى هذه اللحظة.. ارتدت الآن إلى نفس الفلك (عائلة فاعلة ونخبة استجابتها رفض إعلامي ليس إلا).. وربما يكون الإعلام هو أكثر المجالات التي يتجلى فيها هذا التفكك.. ففي المتابعة الإعلامية تجد دائما الخطوة الأولى هي من الولد وعائلته والخطوة الثانية تخطوها نخبة المثقفين المصريين الرافضين لهذا الاستيلاء العائلي على مصر شعبا وإقليما وسيادة، في الإعلام.. أتاحت الفضائيات فرصة لكل مثقف كي يهذي بمفرده رافضا مخطط التوريث في نظام جمهوري.. ثم يقف الأمر عند هذا الحد.. عند (الرفض الإعلامي) للتوريث في الفضائيات والجرائد الجريئة المسماة في مصر بالصحافة المستقلة، لتتضح حقيقة وضعنا المؤلم.. نحن لا (نفعل) شيئا نحن فقط (نرفض) إعلاميا أن يرث (الولد) جمال مبارك ما تبقى من حطامنا، وهذه الحدود لحركة المثقفين المصريين تعرفها جيدا عائلة الولد.. لذلك لا تكترث لهم كثيرا وإن سببوا لها بعض الصداع غير القادر فعليا على المس بأحلامها.. أحلامها التي تحولت إلى خطط تهدف إلى (حصر ملكية الشعب والإقليم والسيادة في عائلة وأنجال مبارك)، لكن مع ذلك لا يمكن بخس (هذيان المثقفين المصريين وعزفهم المنفرد) حقه.. فهو على الأقل اضطر العائلة إلى تعديل خططها و(ابتكار أساليب استمالة جديدة) تحاول بها تهدئة هذيان المثقفين العاجزين.. حتى يمر ما سموه (مخطط التوريث)، من هذه الأساليب (الإلحاح الإعلامي) على المواطن المصري حتى يتسرب إلى وعيه الظاهر والباطن بأن الوريث الولد يمثل الشباب والفكر الجديد.. وهو ما يدغدغ أحلام شعب (تتأخر حياته) بسبب هيمنة العجائز والشيوخ على مقدراته بل وقدره، والإلحاح الإعلامي كذلك بأنه (لا يوجد في مصر بديل آخر مناسب) وغير ذلك من أساليب (تسريب) فكرة حلول مبارك الصغير محل مبارك الكبير إلى وعي المواطن.. باعتباره بديهيا وضروريا وقديرا، ومؤخرا قام الولد بخطوة أولى في اتجاه استمالة المواطنين والمثقفين إلى التسليم بهذا القدر.. في خطابه الأخير في مؤتمر حزب الأب الحاكم (ومن العجيب أن المثقفين المصريين يتحدثون عنه كخطاب رئاسي! وكأنهم أنفسهم قبل مواطنيهم تسرب إلى وعيهم ما يحذرون منه!) قام مبارك الابن بتفجير قنبلته النووية في وجه الإعلام والمواطن والعالم.. كان يتحدث بثقة وتمكن عن حاجة مصر إلى تدشين مفاعلات نووية لإنتاج الطاقة، تشاهده وأنت تعرف أنه يكذب وتعرف أنه يعرف أنك لا تصدقه.. كل المثقفين المصريين تقريبا كشفوه وعرفوا أنها محاولة لاستمالة المواطنين باللعب على حلم مصر الشعبي الكامن حتى في نفوس البعيدين عن هذيان السياسة.. بأن تكون لهم دولة قوية متقدمة يفخرون بها وليس حطام دولة يسجنون فيها أو يخجلون منها أو يساقون باسمها كالقطيع.. والمفاعلات النووية هي الرمز لقوة الدول وتقدمها.. المواطنون أنفسهم كشفوه وابتكروا فورا النكات المضادة.. لكنهم لا يصلون إلى الإعلام بنفس سهولة وصول المثقفين إليه.. هؤلاء المثقفون الرافضون انهمكوا في الفضائيات في فضح نوايا مخطط التوريث..

وهو الأمر الذي دأبوا عليه منذ سنوات بلا جدوى، بل وزاد الأمر أن اشتبكوا مع رجال الولد الوريث في برامج حوارية مباشرة على الهواء.. عبد الحليم قنديل وهو أبرز مثقفي مصر الذين تصدوا إعلاميا باكرا جدا لمسألة التوريث.. اشتبك مع رجال الولد الإعلاميين إلى درجة الوصول إلى عراك وتبادل الشتائم على الهواء في قناة أوربت، وجهاد عودة وهو واحد من رجال الولد رد في برنامج ما وراء الخبر على قناة الجزيرة على المثقفين المصريين الذين يتهمون جمال باللعب النووي على أحلام شعب كي يرثه.. فقال: «ولا استمالة ولا حاجة الحكاية إننا في أزمة اقتصادية استوجبت البحث عن وسائل بديلة للطاقة».. أزمة اقتصادية؟!.. صح النوم!، أما البرامج المتاحة للمواطن ومنها برنامج منبر الجزيرة فقد بدا واضحا في كلمات المشاهدين المتصلين أن ذلك الشعب المصري هو باختصار (شعب تائه).. لا مثقفوه قادرون على تنظيم قوته الكامنة ولا هو قادر على الرد على ما يحاك له في الظلام وفي النور في الخفاء وفي العلن.. شيء يثير اليأس، لم يبق إلا أن ينضم المثقفون المصريون إذا اكتمل يأسهم إلى مواطنيهم في مقاعد المتفرجين أو (يبقوا في بيوتهم) كما قال الكاتب والأديب بهاء طاهر شاكيا من وحشية الأمن وفقدان الطريق، ولم يبق إلا تبادل النكات مع أفراد شعب مأزوم اعتاد السخرية من عجزه دون أن يكلف نفسه (شقاء التمرد).. أحد المواطنين يعمل بقالا ولا يعرف القراءة والكتابة سمع في المقهى أناسا يتحدثون عن (النووي)! قال لهم بأسلوبه الشعبي البسيط: هو يعني المنوي ده بيعمل إيه بالضبط وماله ومال السياسة؟! فرد عليه أحدهم وهو يسحب دخان شيشته: بيطلع منه كهربا.. قالوا كده في التليفزيون.. واحنا يعني محتاجين يعني كهربا كتير عشان المصانع وخلافه كنت أنصت للحديث الدائر عن قرب.. قال الأول: ومين بقى شريك المحروس جمال في مشروع المنوي ده؟ فحاول أحدهم أن يصلح له: منوي يا راجل يا طيب؟! منوي؟!.. اسمه نووي.. نووي.. زي اللي عند أحمد زويل والناس دي)، ما بين الحديث عن (جمال المنوي) بين البسطاء والحديث عن (جمال النووي) بين المثقفين.. تستمر التفسيرات والشروح في تفصيل ما يدور في صحن الدار والسطوح!.. لكن فعليا.. لا شيء إلا الكلام.. بينما يمضي المخطط إلى مبتغاه متحينا أي فرصة مواتية يكون فيها الناس مأخوذين بالكلام.. على المقهى وبينما يستمر بعض الرواد في الحديث عن (الولد المنوي النووي) تذكرت قصة فأر كان يريد المرور من بين جمع من الناس.. يُخرج رأسه من الجحر فإذا وجدهم منتبهين يرتد إلى الوراء دون أن يلغي الفكرة.. حتى وجدهم في إحدى مناوراته منهمكين في الهذيان والكلام والاشتباك.. ببساطة شديدة.. وذيله يتمايل يمينا ويسارا... مرّ!

الأندلس.. حلم الحرية التائه

■ برنامج وثائقي جميل على قناة الجزيرة يتعرض في عدة حلقات إلى (تاريخ الأندلس)، ورغم كثرة البرامج التليفزيونية والإذاعية وأطنان الأوراق التي أعدت وكتبت كلها تعبيرا عن (النواح العربي) لفقدان الأندلس.. فإن هذا البرنامج أعده وقدمه صحافي غير عربي ـ وإن كان مسلما كما قال في إحدى الحلقات ـ لكن إنتاج البرنامج أوروبي ومع ذلك لم ينكر في عرضه الألق الحضاري الذي ساد في تلك الحقبة التاريخية أيام كانت الأندلس هي أندلس العرب.. الأندلس التي غزاها العرب المسلمون ثم حررها أهلها الأصليون من (الاستعمار العربي) بعد ذلك بقرون.. تثير عدة أسئلة في ذهن المتأمل لهذا الحدث الكبير في تاريخ البشرية.. حدث كبير لحظة غزو بدو الجزيرة العربية الحارة لها وحدث كبير لحظة تحريرها أو فقدانها وحدث كبير ما كان بينهما.. ربما يكون أكثر الأسئلة إلحاحا هو: أي شيء بالضبط في الأندلس يتحسر عرب اليوم لفقدانه؟

هل يتحسرون على فقدان جنة الأندلس ومناخها الجذاب لما يعانونه من مناخ حار في بلدانهم الأصلية؟ أم يتحسرون على ضياع فرصة النسب الجغرافي لأوروبا؟ لم أصادف واحدا من هؤلاء المتحسرين يتحسر على (حرية الدين والفكر) التي تمتعت بها هوية الأندلس الحضارية.. قبل أن تنقض أطماع الملك العربي عليها فتضيعها من أيديهم إلى الأبد بلدا وحضارة وحرية.. هل نحن نفضل الفخر بالحرية عند الآخرين بينما لا يوجد في تكويننا النفسي الحضاري (توق) إلى الحرية لأنفسنا؟!

تعرض البرنامج الوثائقي لإنجازات ابن رشد في تعريف البشرية بفلسفة أرسطو العقلانية.. وتعرض لتطلعات الأوروبيين وقتها إلى التعلم في جنة الأندلس التي تعايش فيها المسلمون واليهود والمسيحيون.. قبل أن يكشر الملوك عن أنيابهم بما يكمن في أنفسهم من (حقد عربي أصيل) على حرية الفكر.. فيقضوا على تلك الشعلة الأندلسية دون أن يدركوا أنهم بقضائهم على شعلة حرية الفكر ضعفوا هم أنفسهم.. فقضت عليهم محاولات الأوروبيين الأصليين التي لم تيأس لاسترداد أرض غزاها بدو جزيرة حارة مقفرة بعيدة، واليوم ما زلنا نتحسر على (ملك) الأندلس المفقود.. وربما كان الأجدر بنا أن نتحسر لأن نفوسنا ليس فيها (هوى الحرية) الذي صنع أندلس الماضي.. ولو أن لدينا حقا هوى الحرية لجعلنا من بلادنا الحالية أندلسا أعظم.. لكننا ما زلنا في أسر الحقد العربي الكامن على حرية الفكر.. وحتى نفك أسرنا من ثقافة (الحقد على الحرية) ستظل أندلس الماضي مصدر حسرة دائمة.. وسيظل أندلس المستقبل.. حلما تائها..

---

* كاتبة من مصر
howayda5@hotmail.com

وارضيات